Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 3 (2024) • P: 84 - 72
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The dialectic of literary aesthetics between the old and the new
The theory of deviation as a model

Dr. Jihad Faiz Al-Islam
Department of Arabic Language and Literature | University of Tehran | Iran

Received: 19/01/2024
Revised: 03/02/2024
Accepted: 25/06/2024
Published: 30/06/2024

* Corresponding author: jahadfeyzoleslam@gmail.com

Citation: Al-Islam, J. F. (2024). The dialectic of literary aesthetics between the old and the new: The theory of deviation as a model. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(3), 72 – 84. https://doi.org/10.26389/AJSRP.J190124

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The study aimed to extract aesthetic transformations and develop its theory. Poetry went through many transformations in its themes and arts, and therefore poetry had to transform in its aesthetics as well. Poetry is renewed from time to time, just as the phoenix is renewed if it becomes weak, so that its vitality, aesthetics, and arousal of feelings remain. The researcher addressed Through this study, literary aesthetics is considered the artistic pillar that distinguishes Arabic poetry, and is considered one of its most important features and important characteristics. It is assumed that there are many developments and theories that these literary aesthetics have undergone, and to achieve the goal of the study, the researcher used the descriptive analytical method as it is suitable for this type of studies. Therefore, he The research included an introduction, four sections, and a conclusion for a set of results reached by the study, including:

-Theories of literary aesthetics developed over time, and changed according to time, place, and the theorists who were interested in them.

-Literary aesthetics is a new, old term, and modern theories in it are still under development and crystallization in Western literature, as well as Arabic literature, and they still need a lot of maturity, expansion, and intellectual and literary theorizing.

-The term literary aesthetics has lived a long life, and it is one of the terms that will remain as long as poetry and literature remain, because the survival of poetry is linked to the survival of humans, their feelings, and their humanity. Poetry has no meaning without beauty, just as there is no meaning for a person without feelings. The study recommended discussing modern aesthetic theories of Western origin and employing them in the field of Eastern and Arab literature and poetry.

Keywords: Literary, aesthetic, dialectical, theories, the old, deviation.

جدلية الجماليات الأدبية بين القديم والجديد
نظرية الانزياح نموذجاً

الدكتور/ جهاد فيض الإسلام
قسم اللغة العربية وآدابها | جامعة طهران | إيران

المستخلص: هدفت الدراسة إلى استخلاص التحولات الجمالية وتطور نظريتها، فالشعر مرّ بتحولات كثيرة في موضوعاته وفنونه، ولذلك كان على الشعر أن يتحوّل في جمالياته أيضاً، فالشعر يتجدد من وقت إلى آخر كما يتجدد طائر العنقاء إذا أصابه الضعف، لتبقى حيويّته وجمالياته وإثارته الأحاسيس، وقد تناول الباحث من خلال هذه الدراسة الجماليات الأدبية باعتبارها الدعامة الفنية التي يميز بها الشعر العربي، وتعد من أهم مميزاته وخصائصه المهمة، مفترضاً وجود الكثير من التطوّرات والنظريّات مرّت بها هذه الجماليات الأدبية ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لمثل هذا النوع من الدراسات، ولذا فقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة لمجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة ومنها:

- تطورت نظريات الجماليات الأدبية بمرور الزمان وتغيّرت حسب الزمان والمكان والمنظرين الذين اهتموا بها.

- الجماليات الأدبية مصطلح قديم جديد والنظريات الحديثة فيه ما زالت قيد التطوّر والتبلوّر في الأدب الغربي وكذلك الأدب العربي، ولم تزل بحاجة إلى كثير من النضج والتوسّع والتنظير الفكري والأدبي.

- مصطلح الجماليات الأدبية عاش عمراً مديداً وهو من المصطلحات التي ستبقى ما بقي الشعر والأدب لأن بقاء الشعر مرتبط ببقاء البشر وأحاسيسه وإنسانيته، فلا معنى للشعر دون جمال كما لا معنى للإنسان دون أحاسيس. أوصت الدراسة مناقشة النظريات الجمالية ذات الطابع الحديث الغربية المنشأ وتوظيفها في مجال الأدب والشعر الشرقي والعربي.

الكلمات المفتاحيّة: الأدبية، الجمالية، الجدلية، النظريّات، القديم، الانزياح.

المقدمة

الأدبية والجماليّة تعتبر من الأبحاث المهمة والمثيرة للجدل في الوقت نفسه، فالشعر خيال ورؤيا وجمال وجماليات، والشعراء هم أمراء الكلام، الشعر هو الذي يبعث الحيويّة في الأدب، والأدب ليس تحليل ومعرفة الشعر فقط، بل معرفة جماليات الشعرية أيضاً.

لقد حفل الشعر العربي ومنذ عرف الإنسان الشاعريّة، وعبر العصور المختلفة بالجماليات الشعرية، لأنها الركيزة والمقومة له، فالجمالية هي الدعامة الفنيّة التي يتميّز بها الشعر العربي، وتعد من أبرز سماته وخصائصه الذاتيّة، "ولم يكن اهتمام الجرجاني بالاستعارة قياساً إلى باقي المباحث البيانية الأخرى، إلا لعلمه بوظيفتها الجمالية، وخصوصيتها وقيمتها الدلالية، ومدى اتصالها بقوانين النظم، مع ما تثيره من قضايا التأويل الدلالي" (بلكاني، 2022م، ص107).

ولذا كل عمل أدبي يعتمد على مجموعة من العناصر التي تتألف فيما بينها فتشكل ذلك العمل الأدبي، والجمالية الشعرية هي أهم مكونات الشعر إذ لا شعر دونها، ولذا لها الأهمية الخطيرة والعناية البالغة، ومن هنا وعبر الأزمنة المختلفة جعلت فنّاً أدبياً رفيعاً يستودعه الإنسان أحاسيسه ويبيّن فيه أفكاره وما يختلج في خياله وذهنه، ليعبر في ذلك عن نفسه وإنسانيته ومجتمعه وبيئته التي ينتمي إليها، فمنشأ أهميّة الدراسة هو الجمال الخيالي الذي يعتبر الركيزة الأساس للشعر بصفة خاصة، والجماليّة الشعريّة ونظرياتها هي محور الدراسة، لهذا حاول الباحث رصد هذه النظريات والتطورات التي مرّت بها، وهذا ما يميّز هذا البحث عن غيره من الدراسات الأدبية والشعرية الأخرى، وأما الصعوبات التي واجهت الباحث فكثيرة ومن أهم تلك الصعوبات هي عدم توفر المصادر المناسبة لهذه الدراسة لا سيما الجديد والحديث منها.

أولاً: الإشكاليّة والفرضيات

تبرز إشكاليّة البحث في السؤال الرئيس وهو: ما هي أهم التطوّرات والنظريّات التي مرّت بها الجماليات الأدبية؟ وتفرّع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الأخرى منها: ما معنى الجماليّة الشعريّة؟ هل يوجد تطوّرات جديدة بالنسبة إلى الجماليّة الأدبية؟ ما هي نظرية جماليّة المحاكاة؟ كيف وظّف الشعراء نظرية جماليات الرومانسيّة في شعرهم؟ ما هي نظرية الانزياح وجمالياتها وكيف وظّفها الأدباء في قصائدهم؟ وانبثق من هذه الإشكاليّة مجموعة من الفرضيّات ومنها:

- وجد النص الشعري الواحد قراءات متنوّعة ونظريات إبداعية حديثة وقديمة.
- النظريات الجديدة في جماليات الأدبية ما زالت قيد التطوّر والتبلور في الشعر العربي المعاصر، ولم تزل بحاجة إلى كثير من التوسّع والتنظير الفكري والأدبي.
- نظرية الانزياح هي من أهم النظريّات الجديدة في الأدب المعاصر.

وقد حاول الباحث معالجتها من خلال هذه المداخلة الموسومة "جدلية الجماليات الأدبية بين القديم والجديد- نظرية الانزياح نموذجاً"

ثانياً: منهج البحث

يتّبع هذا البحث ذات النزعة الوصفية المنهج الوصفي التحليلي، ويتابع الباحث من خلال هذا المنهج في هذا البحث أهم التحولات التي مرت بها الجمالية الأدبية والشعرية وما هي أهم تطوّرها وأهمّ النظريّات الحديثة في هذا المجال ويصف مجموعة الإجراءات والبيانات البحثية التي تهمّد لوصفها وتحليلها وذلك للوصول إلى نتائج موضوعية، ولذا فقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة لبعض النتائج، هي على النحو الآتي:

جاءت المقدمة بعد المستخلص، ثمّ في المبحث الأول تحدّث الباحث عن مصطلحات ومفاهيم البحث، وأمّا المبحث الثاني فهو يناقش جماليات الشعرية في المحاكاة ونظريتها. وتحدث المقال في المبحث الثالث عن نظرية جماليات الرومانسيّة، أمّا المبحث الرابع فجاء الكلام فيه عن نظرية الانزياح وجمالياتها، ثمّ ختم البحث ببعض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثالثاً: أهمّية البحث

الشعر مرّ بتحولات وتطورات كثيرة في موضوعاته وفنونه وجمالياته في الغرب والشرق، ولذلك كان على الشاعرية والجماليات الشعرية أن تتحوّل هي أيضاً، لتبقى حيويّة الشعر وحيويّة جمالياته كذلك، ولذا ظهرت كثيراً من النظريات الجديدة في هذا المجال، فأهمية الدراسة تنبع من أهمية التعرّف على هذه النظريات ومناقشتها حد الإمكان، قد استفاد الباحث من مصادر ودراسات هذا البحث في تعميق رؤيته وفكره وفهمه لنصوصها الأوليّة، محاولة منه لتحليل موضوعاتها ووصفها ومناقشتها ومرورها، والهدف الأساس هو إثراء المكتبة العربيّة بمزيد من الدراسات حول موضوع البحث.

رابعاً: أهداف البحث

تتمحور أهداف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تشكّل منطلق الدراسة وأصولها، ومنها:

- إثارة الاهتمام وإلفات النظر والتأكيد على أهميّة دراسة تطور مسار الشعر وجمالياته.
- وصف أهم النظريات التي ركّزت على الجماليات الشعرية المعاصرة.
- وصف ومناقشة المظاهر الفنية وأبعادها الشاعرية والشعرية والجمالية.

خامساً: الدراسات السابقة

من خلال البحث في المكتبات وتصفّح الشبكات العنكبوتيّة لم يطلع الباحث على دراسة ذات صلة مباشرة بالموضوع، إلا أن بعض الدراسات غير مباشرة تفرّدت كل منها بخصوصية ورؤية حيث أهداف وفكر كتابها وباحثها، وهي مفيدة في حد ذاتها للاستفادة منها في مجالاتها، ومن أهم تلك الدراسات التي عثر عليها الباحث هي:

- دراسة: "في الجماليات" لإدغار موران الشعر مقاومة لقسوة العالم والحياة والإنسان "1399م"، جاءت دراسة الفيلسوف وعالم الاجتماع ملاحظات حول الجمال والفن والشعور الجمالي فكانت الدراسة إلقاء نظرة فلسفية اجتماعية حول الأمور الآنفة، فهو يرى الجماليات عنصراً مهماً في الثقافة وفي حياة الإنسان.
- دراسة: "البنية الجمالية في القصيدة العربية الحديثة" لأيوب نبيل "1992م"، لم أتمكن من العثور على الكتاب.
- دراسة: "النظريات الجمالية في المذاهب الغربية الحديثة لأسامة خضراوي" 2015م، الباحث ركّز في دراسته على فلسفة التلقي عند أرسطو والتيار الجمالي الألماني من بورمان إلى كانط وهيجل وشو بنهاور.
- دراسة: فلسفة النظريات الجمالية لغادة المقدم عذره "1996م" وهو كتاب في علم الجمال وتاريخ الجمال وفلسفة علم الجمال ودروس في أصولها وماهيتها وأشكالها.
- مقالة: باسم ظاهرة الانزياح في أنشودة المطر، للباحث سعد الله همايوني وعدنان طهماسبي وآخرون نشرتها مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية عام 2018م الدارسون ركزوا فيها على تحليل ودراسة أنشودة المطر من خلال تلك الظاهرة، واختلفت دراستي عنهم في ماهية الموضوع والكم والكيف.
- دراسة: مفاهيم الشعرية لحسن ناظم منشورة عام 1994م وهو كتاب تعرض المؤلف لبض قضايا ومفاهيم الشعرية في الأدب وأمور في البلاغة واللغة وبعض النظريات في هذا المجال حسب رؤيته وفكره وقد أجاد، واستفدت منه لأنه أفضل كتاب عثرت عليه في هذا الموضوع، وأما هذا البحث فهو حسب رؤيتي وفكري، ويختلف عنه أيضاً في الكم والكيف والأسلوب والموضوع، فحاولت التعرض لما هو جديد ومفيد ولو نسبياً.
- دراسات: متفرقة أخرى حول جماليات الشعر عند بعض الشعراء، والكتب والدراسات المتقدمة تختلف عن البحث في الكم والكيف والرؤية ولو أنها تشترك معها في الموضوع بشكل عام.

المبحث الأوّل: مصطلحات ومفاهيم

المفاهيم والمصطلحات في العلوم الإنسانيّة متغيّرة من زمان إلى آخر ومن مكان إلى مكان، فهي لا تثبت على شكل من الأشكال ولا حال من الأحوال، ولهذا تحديدها تحديداً دقيقاً لعله أمر متعذّر بل أحياناً شبه محال، ومصطلح الجماليّة ومصطلح الشعريّة والشاعريّة لا يخرج عن هذه القاعدة العامة ولا يستثنى.

ويظهر أنّه "من أكثر المصطلحات تغييراً واختلافاً بين الأمم، فهو المصطلح الذي كثر الصراع حوله بين القديم والجديد خاصة عند العرب لأن الشعر هويّتهم وثقافتهم، فكل جماعة تذهب إلى تبيين الشعر حسب صناعتها، ومن هنا بدأت الاتجاهات والتيارات الشعرية عند العرب وغيرهم، فالاتجاه الأول الصنعة، ويحكّمونه ويجددون صنعته وبنيته، وهكذا عند الرمزيين كمالارمية وفاليري.

أما الاتجاه الثاني وهم أصحاب الطبع حيث يذهب أصحاب هذا المعتقد إلى أن الشعر نعمة إلهية خالصة تتنزّل على من يشاء من السماء ككثير من الشعراء الرومانسية في العصر الحديث، والمذاهب الأدبية المعاصرة صنّفت ضمن أحد هذين الاتجاهين، ثم جرت هذه التقسيمات إلى الشاعر والشعر وقسمت القصائد تحت هذه التيارات فيما بعد، ويرجع هذا الاختلاف والتقسيم إلى الرؤية التي ينظر من خلالها الشاعر.

ومن هنا اختلاف الشعرية، أيضاً، البعض يرى أن الشعر وزن وقافية وأن الوزن من أهم عناصره المهمة، وله شأنه في تطهير الأخلاق والأيديولوجيا، ولهذا فإن مصطلح الشعرية متبدّل وغير مستقر ومعياره مختلف مكاناً وزماناً فهو عند أرسطو المحاكاة وعند

الرومانسيين الشكل الفني وعند جان كوهن هو الانزياح وعند كريستيفا هو التناص وعند بارت وإيكو هو النص المفتوح وهكذا" (الموسى، 2008م، ص 11-13بتصرّف).

ونجد هذا الاختلاف في معايير ومقاييس المصطلح أيضاً فالبعض يرون أنّ العقل هو المعيار في الشعر والشعرية والشاعرية وآخرون يرون أنّ الخيال والأحاسيس هو المعيار كما نلاحظ هذا عند الرومانسيين، "ولذا جان كوهن في كتابه بنية اللغة الشعرية وكذلك كتابه الكلام السامي، فهو لم يقبل قصيدة النثر أو الشعر السريالي لأن الشعر عنده هو الكلام السامي الذي لا يرتقي إليه أيّ كلام آخر، وقال إن للشعر طبيعة سلطانية، أمّا أن يظل سيداً أو يتنحى" (كوهن، د. ت، ص 78).

أ- مفهوم الشعرية والأدبية

هذا المصطلح له مفهوم عام وشامل هو قوانين الأعمال الأدبية والخطاب الأدبي، ويظهر أنّ هذا المصطلح نطق به أرسطو للمرّة الأولى في كتابه فن الشعر أو الشعريّة، ولكن أنّ مصطلح الشعريّة فيما بعد وفي الوقت الحاضر اتّسع، وتغيّر كثيراً وذلك حسب النظريّات الأدبيّة الحديثة، فصار شاملاً لفنون ومفاهيم ومصطلحات إبداعيّة وأدبيّة جديدة كنظرية الفجوة عند كمال أبو ديب ونظرية الانزياح عند جان كوهن وغيرها.

فهذه النظريات لا تقف عند اللغة والنص فقط، بل تتعداهما إلى التصورات الذهنيّة والفن التشكيلي وغير ذلك، بل وحتى الظواهر الثقافية والاجتماعية وغيرها أيضاً، فاللغة والنص اللغوي ما هو إلا الجسر والمنطلق نحو أمور شتّى.

"الشعرية ذات مصطلحات متعددة في التراث النقدي العربي، فمفهومها العام هو البحث عن قوانين الإبداع، ولكن ذكرت لهذا المفهوم مصطلحات متنوعة أخرى منها: شعرية أرسطو، ونظرية النظم للجرجاني، وتوسع العبارة بتكثير الألفاظ وظهور سمات على النص عند الفارابي، والمتعة والتناسب المحفزين على تآليف الشعر عند ابن سينا، والأقاويل الشعرية المستندة إلى المحاكاة والتخييل عند حازم القرطاجني، وأما في التراث النقدي الغربي جاء مفاهيم الشعرية مختلفة ذات مصطلح واحد كما نلاحظ هذا عند ياكبسون في نظرية التماثيل equivalence وعند جان كوهن في نظرية الانزياح deviation وعند كمال أبو ديب في نظرية الفجوة: مسافة التوتر، وأما مصطلح الشعرية poetics في الدراسات الحديثة فهو متنوع جداً، فترجمه سعيد علوش إلى الشاعرية، وترجمه تودوروف إلى علم نظرية الأدب، وكوهن إلى الشاعرية أي علم موضوعه الشعر، وبعض آخر ترجمه إلى فن النظم، وبعض قال فن الإبداع، وآخر أطلق عليه مصطلح علم الأدب، وبعض أطلق عليه نظرية الشعر وهكذا"(انظر: ناظم،1994، ص 11 - 17).

موضوع الشعرية

تسعى الشعرية لكشف قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي بوصفه نصاً وليس أثراً أدبياً – ولذا - يجب أن تهيئ الشعرية الوسائل لوصف النص الأدبي كـ مستويات المعنى، تعيين الوحدات التي تشكّلها، وصف العلاقات بين الوحدات، دراسة الأنواع أو الأجناس، قوانين تاريخ الأدب" (المصدر نفسه، ص33).

الأثر الأدبي والنص الأدبي

إنّ الأثر الأدبي هو إنتاج المؤلف الحقيقي، أمّا النص فهو إنتاج القارئ، الذي يوسع من أبعاده بالقراءة، هاهنا، إذن، نص للمؤلف ونص للقارئ، وطبقاً لهذا ينفي تودوروف أن تكون ثمّة إمكانية للأثر الأدبي أن يكون موضوعاً للشعرية، ذلك أن الأثر الأدبي عمل موجود، وموضوع الشعرية هو العمل المحتمل، العمل الذي يولد نصوصاً لا نهائية.(المصدر نفسه، ص 34).

التمايز بين الأدبية والشعرية

تعريف الأدبية، "في النظرية السميائية للأدب، بكونها تسمح بتمييز كل نص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية، في دراسة الشكلانيين الروس خاصة، الأدبية هي من الحقول الموازية والأقرب للشعرية، وقد كانت أسبق قي الظهور في عالم النظرية منها ومن مدلولات مفاهيم الأدبية:

- الأدبية مصطلح سيميائي يخص النصوص الأدبية فقط أي الأدبية مقياس لتمييز النصوص الأدبية من غيرها(علوش، 1984م، ص 19).

وبناء على هذا أنّ الأدبية والشعرية يشتركان في غاية واحدة، فمفهوم الأدبية يوازي المفهوم للشعرية في الأهداف، إلّا أن الأدبية تارة تتخلى أحياناً تكون مفهوماً نظرياً مستقلاً لفهم الأدب.

الشعرية والأسلوبية

يندرج عمل الشعرية ضمن إطار عام، بينما عمل الأسلوبية ضمن عمل خاص، فمن الصحيح إن لكل نص مظاهره الأسلوبية الخاصة التي يسعى الأسلوبي للكشف عنها، وهذا مجال من مجالات دراسة النص، غير أن من الصحيح أيضاً أن للنصوص كافة قوانين توجهها وجهة أدبية ويسعى المنظرون في الشعرية للكشف عنها.

فالشعرية تبحث في قوانين الخطاب الأدبي عبر اجرائياتها الخاصة، فمرجعها الأول والأخير هو الخطاب الأدبي نفسه (ناظم، 1994م، ص 8).

الشعرية لم تنحصر في مجال نظريات الأدب، بل اتسعت لتشمل جماليات الزمان والمكان والتصورات الخيالية والذهنية والفنون الأخرى كالفن التشكيلي والفن السينمائي وكل فن إبداعي مرتبط بالنص وقابل للتحليل المناسب كالتحليل الأيديولوجي، والعقائدي، والأخلاقي، والنفسي، والاجتماعي وغير ذلك، فالنص ثابت ولكن الاختلاف في طبيعة المفاهيم والتلقي والتحليل(المصدر نفسه، ص33).

تهتم الأسلوبية "بدراسة الخصائص اللغوية التي تحوّل الخطاب عن صياغة الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية فيتحول إلى إبلاغ رسالة دلالية" (المسدي، 1982م، ص 36). إذن تهتم الأسلوبية بما " يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً"(المصدر نفسه، ص37). وبعبارة أخرى إن الأسلوبية هي الأساس للشعرية الحديثة والمنطلق لجذوتها.

الأسلوب والأسلوبية

إذا كانت اللغة تأمّن المادة التي يعتمد عليها الأديب ليظهر أفكاره ويبينها، الأسلوب يأخذ بيد الأديب نحو التأثير في المتلقي وبعبارة أخرى، إنّ "الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، وأما الأسلوبية فهي من الموضوعات النقدية التي تحاول فهم النص عبر أدوات نقدية خاصة، مستفيدة من تطور اللسانيات الحديثة، فهي علم دراسة الأسلوب" (بركات وآخرون، 2023م، ص 173).

محاولة الشكلانيين الروس

جاءت محاولة الشكلانيين الروس في نظرية الشعرية الحديثة، بعد إحساسهم بضرورة إيجاد علم للأدب، أي وضع أسس وقوانين ومبادئ له من الأدب نفسه، لتكون تلك الأسس منهجيّة متغيرة وغير ثابتة، تنسجم مع التطبيقات الأدبية دون منهجيّة معيّنة ومحدّدة " فليس المهم منهج للدراسات الأدبية، بل منهج الأدب كموضوع للدراسة" (اينخنباوم، 1982م، ص 30).

تتمحور نظرية الشكلانيين الروس على الموضوع وليس على منهج خاص، والمهم لديهم هو الواقعية الأدبية الخام ذاتها. وبعبارة آخرى كما يرى ياكوبسون " أنّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنّما الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملاً أدبياً" (المصدر نفسه، 1982م، ص 35). ومن هذا المنطلق يكون البحث والموضوع متمركزاً على أدبية الأدب باعتباره لغة دون التأمّل والاعتبارات الأخرى.

ب- الشاعريّة:

الشاعرية مصدر صناعي من شاعر وبمعنى موهبة قول الشعر كما جاء في معجم المعاني الجامع، ويستخدم هذا المصطلح للتعبير عن العاطفة والإحساس وذلك للتعبير عن الجوهر الشعري الذي يتصف به شاعر من الشعراء، والشاعرية تتكون من عناصر أهمها: الإبداع والموهبة والقدرة الشعرية والأسلوب الشعري والرسالة الشعرية، وبهذه العناصر يتوصل بها الشاعر إلى مستوى شعري يميزه عن غيره من الشعراء.

ج- الجماليّة:

وأمّا مصطلح الجماليّة فهو يتصل بعلم الجمال وبما هو فنّي يشير إلى مجموعة معنية من المعتقدات حول الفن والجمال ومكانتها في الحياة"(جونسون، 1983م، ج1، ص274) ولذا يذهب الكثير إلى أن الفن بما فيه الشعر يمتع لما فيه من جماليات، بعيداً عن الأفكار والمذاهب والعقائد والأيديولوجيات بكل أنواعها.

فالجمالية الشعرية ليست مجرد مجموعة من الكلمات، بل هي رحلة إبداعية تأخذ القارئ في عالم متعدد الأبعاد من المشاعر والأفكار. إنها فن يتيح للشاعر التواصل وبأجمل طرق، مع العالم من حوله، تبيّن الجمالية التعبير الإنساني، وهي تجسد الإبداع والتفرد في استخدام اللغة. يتيح للشاعر التواصل مع العالم وذلك من خلال مشاعره وأفكاره بطرق تثير الإعجاب.

والجمالية إمّا أخلاقية وأمّا فلسفيّة وأما نفسيّة، والنفسيّة هي البحث في الآثار الفنية من جهة ما هي وثائق نفسية تكشف عن طبيعة صانعيها أو طبيعة الجمهور الذي يتذوقها. ويقابله علم الجمال النفسي وعلم الجمال الاجتماعي، وعلم الجمال الفلسفي" (صليبا، 1982م، ج1، ص409).

د- الجمالي:

مصطلح الجمالي ترتبط بمفهوم الجمال كقيمة فنية أو فلسفية. يُستخدم هذا لوصف ما يتعلق بالجمال البصري والإحساس الفني ويمكن استخدامها للإشارة إلى التجربة الجمالية في الفن، الموسيقى، الأدب، التصميم، وما إلى ذلك. على سبيل المثال، لجوانب الجمالية للفن المعاصر تشير إلى الجوانب التي تتعلق بالجمال والفلسفة في الفن المعاصر. والفرق بينه وبين الجميل واضح، "فالجميل يشير إلى الجانب الفلسفي والنظري في مفهوم الجمال، في حين يُستخدم الجمالي لوصف العناصر والجوانب البصرية والحسية للجمال في الفن والتصميم الجميل، وكلمة الجميل تستخدم لوصف شيء معين أو شخص يتصف به الجميل" (قاموس أكسفورد الإنجليزي، 2023م).

وكما نلاحظ أن الفرق بين الجميل والجمالي مفهوم نسبي متغير وهو مرتبط أيضاً بعصره وزمانه وبيئته، فالجميل في عصر لعله لا يكون جميلاً في عصر وزمان آخر، لذا يرى البعض أن الشعر فيما يحققه من مكاسب خيالية جميل وفيه جمالية ويعتقد آخر أن الشعر رسالة إنسانية بشرية.

وأما علم الجمال فهو "علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفنّي، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنيّة، وله قسم نظري عام، وقسم عملي خاص" (صليبا، 1982م، ج1، ص408). ويظهر إن المفاهيم للمصطلحات التي تقدم الكلام عنها ومناقشتها والتأمل فيها "تبين بوضوح أن المفاهيم التي أفردت لتحديد العلم اتسمت بالتنوع والتعدد، وهي بذلك تعكس من دون شك اختلاف مشارب الباحثين والدارسين وانتمائهم الفكري" (ياقوت، 2021م، ص24). وبناءاً على هذا فهي تختلف حسب الزمان والمكان ومن الصعب جداً تحديدها والطمأنان بها.

المبحث الثاني: الجمالية في المحاكاة

تتجلى الجمالية التي تظفي على الشعر والأدب الجمال في مجموعة متعددة ومتنوعة إبداعيّة ومثيرة من العناصر والفنون الأدبيّة منها:

- اختيار الكلمات بعناية وترتيبها بشكل يستحضر المعاني الخيالية المتعددة التي تتيح للغة الشعرية استخدام التشبيهات والاستعارات والتعابير الغنية التي تضفي جمالًا على النص الشعري، لأن الشعر يتألف من إيقاعٍ يمنحه نغمةً خاصة. كما تلعب القوافي دورًا في تحقيق تناغم بين الأبيات ويُعَدُّ استخدام الصور والتشبيهات من أهم سمات الجمالية الشعرية، وتُساهِم هذه الصور في تجسيد الأفكار والمشاعر بشكلٍ ملموس، مما يُزيد من تأثير القصيدة لدى المتلقي، أيضاً الجمالية في اختيار الكلمات يعد وسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية.
- استخدام الرموز والرمزية أداة أخرى لإضفاء الجمالية على الشعر. إنها تسمح بتفسيرات متعددة وتعمق في الدلالات والمعاني
- الجمالية الأدبية ليست مجرد مجموعة من الكلمات، بل هي رحلة خيالية وإبداعية تأخذ المتلقي إلى عالم المشاعر والأفكار يتيح له التواصل مع العالم وذلك من خلال مشاعره وأفكاره. فنلاحظ هذا التجلي واضحاً في جماليات الأدب القديمة ولكن في العصور المتأخرة إضافة إلى هذه الجماليات برزت نظريات جمالية في الشعرية المعاصرة وصارت ظاهرة مثيرة للجدل وكثر النقاش حولها، ومن أهم النظريات الشعرية الحديثة يمكن أن يقال:

أولاً: نظرية المحاكاة

المحاكاة لفظ يوناني "Mimesis" وفكر إغريقي، فهي عند " أفلاطون تعني التشبه والتقليد للأعلى والأرقى ، وهي مرحلة من مراحل الديالكتيك، ويرى فيثاغورس أن الرسم والدراما والشعر والأغاني محاكاة ولكن بمعنى ضيق"(أفلاطون،1985م، ص251) وكذلك(وهبة، 2007م، ص 578).

"فالمحاكاة بوجه عام تطلق على التقليد والمشابهة في القول، وتطلق بوجه خاص على ما يتصف به الحيوان من المشاكلة للبيئة الذي يعيش فيها، والمحاكاة أيضاً هي التقليد اللاشعوري الذي يحمل الإنسان على الاتصاف بصفات الذين يعيش معهم كاقتباس أفكارهم" (صليبا، 1982م، ج2، ص349-350).

كما "يذهب أفلاطون إلى أن بعض الأعمال الفنيّة محاكاة بمعنى حقير، أي أنها خداع"(وهبة، 2007م، ص 578). وعند أرسطو "الفن محاكاة الطبيعة والمحاكاة في طبيعة الإنسان منذ الطفولة. فإحدى ميّزاته أنه أكثر الكائنات ميلاً إلى المحاكاة" (المصدر

نفسه، ص 578). ويظهر أنّ نظرية المحاكاة قد مرّت بعدة مراحل حتى وصلت إلى أفلاطون وتطوّرت على يد أرسطو الذي بسط الكلام حولها وحدد ثغورها في كتابه "فن الشعر أو الشعرية كما يحلو للبعض ترجمته".

اتخذ أرسطو موقفاً مناقضاً لموقف أفلاطون في قضية المحاكاة التي تشكّل عالم المثل والأفكار المجردة عند أفلاطون، فإنّ أرسطو يعتقد بعالم الخيال وأنّ المحاكاة منشؤها دافع نفسي وهي ضرب من الإبداع ومن خلال هذا الإبداع يؤدي الفن ما عليه من مهام ومن وظيفة، حيث يرى أرسطو " أن الحكاية يجب أن تؤلف على نحو تجعل من يسمع وقائعها يفزع منها وتأخذه الرحمة بصراعها وإن لم يشهدها" (أرسطو، د. ت، فن الشعر، ص38).

الملاحظ وبشكل عام الفن والأدب ولا سيّما الشعر منه في الفكر الإغريقي القديم، يعبّر عن قيمة جماليّة له ولعلّ هذا ما جعل لونجينوس يرى " أرواحنا تتأثر غريزياً - بالأدب – ثمّ تحلّق بكبرياء، وهي تفيض بالسرور والزهو، وكأنها هي التي أنتجت ما سمعته" (عودة خضر، 1997م ص25). وتجلّت الشعرية والجمالية أكثر وضوحاً في أشعار هوميروس الشاعر الأعمى في ملحمته "الإلياذة" وملحمته "الأوديسة" اللتان تعتبران من أرقى أنواع الشعر في العالم حيث استخدم فيهما كلمات وتعبيرات تدلّ على الجمالية كتعبير الجميل، الرائع، وهكذا.

ثم جاء أفلاطون وهو الذي تربّى تربية أرستقراطية ووقف ضد الديمقراطية ولم يدل بآرائه مباشرة وإنّما جاءت مبثوثة مبعثرة في أعماله من خلال الحوار بين الشخصيات، ولذلك كان من الصعب أن يعرف رأيه إلى هذه الشخصيّة أو تلك، فاهتمّ أفلاطون بالفلسفة والسياسة أكثر من اهتمامه بالأدب، وكادت الدولة في عصره تنهار ولذلك ربطها بالأخلاق وشن حملة كبيرة في الباب العاشر من "الجمهوريّة" على الشعراء.

ومن أجل أن نتعرف على مصطلح الشعرية عند أفلاطون لا بد من معرفة المحاكاة عنده، قسّم أفلاطون العقل إلي فكر وحس والفكر هو الأصل والمثال والنموذج والحس صورة عن الفكر ولكنّها لا تكون دقيقة كالأصل ولا يشاكله جمال، فالجمال الأول لأنه هو الأصل والمصدر وما جمال الأشياء سوى صورة عنه، ولا بد من وجود جمال أوّلي.

العالم عند أفلاطون قسمان عالم الحقيقة وعالم الحق والخير والجمال وعالم المطلق وهو البداية والنهاية للمحسوس والقسم الثاني عالم الحس وهو محاكاة لعالم الحقيقة وكل شيء في عالم الحس محاكاة كما هو موجود في عالم المثل والحقيقة فالجمال في عالم الحس هو محاكاة للجمال وعالم الحقيقة وهذا معناه أن الفنّان أنموذج يحاكيه ومصدراً يستقي منه صوره وأفكاره ولكنّه أي الفنان لا يستطيع انعكاس الحقيقة بل يعكس خيالات الأشياء أو مظاهرها أمّا الجوهر فيظل متعذراً عليه لأن صور الجمال في تدرجها أربع:الجمال الجسدي، فلأخلاقي، فالعقلي، ولا يصّور الفنان سوى وهم والشاعر لا يصورّ سوى وهم فهو يحاكي المحسوس.

ويختلف أرسطو عن أستاذه أفلاطون من حيث المنهج والطريقة والتحليل ولذلك تختلف طبيعة المحاكاة من الشعر والشعراء.

إنّ جمالات الشعرية عند الإغريق مختلفة ومتطورة حسب وجهة نظر المتلقي وثقافته واتجاهه الفكري والنقدي ولكل شعرية جمالياتها فأفلاطون يري الشعرية قريب من الحق والجمال لأن مصدر الجمال عنده لأنه فيلسوف وصوفي والشعراء عنده متهمون باللهو واللعب.(الموسى، 2008م، ص35- 41 بتصرف).

شعرية وجمالية الإغريق متنوعة عن غيرها زماناً ومكاناً، فلكل محاكاة جمالياتها التي تتناسب مع ثقافة وفكر مبدعها ومتلقها، فالشعرية عند أفلاطون لا بد من أن تكون قريبة من الحق والجمال، لأنه فيلسوف ومصدر الجمال عنده إلهي، ولذا الشاعر والفنان ليس مستقلاً بل هو تابع مقلّد لمقلّد آخر، ويظهر هذا من "جمهوريته" حينما تكلم وضرب مثال عن الشاعر والفنان فيرى "للأسرة أنواع ثلاثة، وهناك ثلاثة فنانين يصنعونها: الله، والنجار، والرسام، وهذا يعني أنّ الرسام - هو مقلد لغيره – يحتلّ المرتبة الثالثة، و"هذا يصدق أيضاً على الشاعر التراجيدي، ما دام مقلداً فهو إذن، ومعه كلّ المقلدين، يحتلّ المرتبة الثالثة بالقياس إلى عرش الحقيقة(أفلاطون، 1985م، ص"31-32).

تتيح نظرية المحاكاة للشاعر التعبير عن تجاربه الشخصية والإنسانية بطريقة تجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش تلك التجارب. من خلال استخدام اللغة والصور الشعرية، يمكن للشاعر أن يصور العواطف بشكل ملموس ومباشر، مما يخلق تأثيراً عاطفياً عميقاً لدى المتلقي. نظرية المحاكاة تساهم في تعزيز الانتماء والتواصل بين الشاعر والقارئ، نظرية المحاكاة تتيح للقراء إمكانية التفسير والتأويل المختلف للنصوص الشعرية.

وفي النهاية يمكن أن يقال: نظرية المحاكاة الشعرية والجمالية تمنح الشاعر وسيلة قوية لتعزيز التواصل والتأثير من خلال تجسيد تجاربه ومشاعره بطرق معبّرة وجذابة، وتسهم في إثراء الأدب وتجعل الشعر قناة فنية لنقل الإنسانية وتجاربها، فهذه نظرية المحاكاة الشعرية وجمالياتها في الفكر والرؤية الإغريقية والتي تعدّ من أهم مصادر الشعرية حتى زمان الرومانسيّة المعاصرة.

المبحث الثالث: نظرية الجماليات في الرومانسية

إن أي نظرية معرفية سواء أكانت في السياسة أو الفكر أم الثقافة هي وليدة زمن وبيئة قبل أن تكون وليدة فرد، لأن الحياة العامة هي التي تقدم المادة الأساسية لذلك وتكون التفاعلات بين القديم والجديد فالحركة السليمة مرتهنة بالفكر السليم وجزء منه، فظل الفكر والعقل الأرسطي مهيمناً علي الفكر الأوروبي حتى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

"وقد أعاد بوالو الشعر إلى ما وصل إليه أرسطو في "فن الشعر" وهوراس أيضاً، فكانت قواعد الشعر لها طريقة واحدة لا غير لكتابة "الملحمة" و"المسرحية" و"القصيدة الغنائية" وهكذا (جيمس، 1986م، ص115).

فقدم بوالو نصائحه وأوامره وقواعده للشعراء، وهي نصائح تشبه النمط في الأدب الكلاسيكي ومنها الاهتمام بالطبيعة كمصدر ينهل منه المبدعون، الشعر الأحسن الأكثر نبلاً في فكرته لا يرضي النفس حين تكون الأذن جريحة والمعيار فيه العقل، فالعقل المعيار الوحيد الذي يمنح الشعر المجد والخلود كما يرى بوالو:

الطبيعة مفعمة بالعقول الممتازة
تعرف أن تقسم المواهب بين المبدعين
الشعر الأحسن ثراء، الأكثر نبلاً في فكرته
لا يرضي النفس حين تكون الأذن جريحة
أعشق إذن العقل فإن كتاباتك دائماً
تستعير منه وحده تألقها وقيمتها" (Buileau sans date210– 204)

"هذه النصائح من بوالو رسولاً من رسل العقل في الأدب وحكمت على الشعر بالجفاف والموات إذ حوّله إلى حرفة وحول الشاعر إلى إنسان مطيع مهذب لا يتفوّه إلاّ بما يطلب منه وهكذا ظلت نظرية المحاكاة جاثمة على صدر الأدب في الكلاسيكية وقدس أربابها العقل وهاجموا الخيال واتهموه بالقصور والفوضى"(الموسى، 2008م، ص 130). وهكذا بعض الفلاسفة الآخرين فهاجم رينية ديكارت الخيال ونادوا بأن يخضع الخيال لسلطة العقل.

ولذا " تعد الرومانتيكية أهم حركة أدبية في تاريخ الآداب الأوربية، لأنها بما اشتملت عليه من مبادئ، وبما مهد لها من اتجاهات في القرن الثامن عشر قد يسرت للإنسان الحصول على حقوقه، إذ مهدت للثورات وعاصرتها، ثم كانت خطوة في سبيل نشأة المذاهب الأدبية المختلفة فيما بعد.

وكانت المبادئ الرومانتيكية في جملتها معارضة للمبادئ الكلاسيكية كما يتضح بمقارنتها في أسسها العامة، ففي الأدب الكلاسيكي كان للعقل السلطان المطلق، ولهذا طالما وصف بأنه أدب عقلي" (هلال، الرومانتيكية، د. ت، ص 8).

بدأت أوروبا تعيش فترة تحت وطأة سيطرة العقل والطبقة الأرستقراطية بشكل متزايد، نتيجة للصراعات المتعددة التي شهدتها خلال القرن الثامن عشر، وتجلى ذلك بوضوح في أحداث مثل الثورة الفرنسية التي هزت الأسس السياسية والفكرية والثقافية في أوروبا. كانت تلك الأحداث حافزاً مهماً للتغيير في المجتمعات الأوروبية وفي مجالات شتّى بما فيها الأدب، حيث نشأ اهتمام جديد بالشعر والأدب الشعبي، وانتقل الفن والأدب من القصور الملكية والسلاطين إلى الأماكن العامة والشوارع.

في هذا السياق، تفجَّرت حالة من التفاؤل بالتحرر الاجتماعي والأخلاقي والفكري، مما أسهم بظهور حركة رومانسية تعبّر عن تلك الآمال والأحلام. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت تلك الفترة تقدماً صناعياً هائلاً، أدى إلى تفوق الصنعة وسيطرتها على مختلف جوانب الحياة الإنسانية. وهذا التطور أثَّر بشكل سلبي على بعض القيم الإنسانية، فتراجع الاهتمام بالحياة الريفية والطبيعة الخلَّابة، إذ انتشرت الصناعة وبشكل كبير.

ونتيجة لهذه التغييرات، تحوَّل الألم والحزن والكآبة إلى جزء من الوجود اليومي، وهذا الوضع كان ملحوظًا بشكل خاص بين الطبقات الفقيرة والمحرومة. فقد أصبح الأدباء مهتمين بسرد حياتهم وتجاربهم، بدلاً من التركيز السابق على مواضيع الحكم والسلطة. "فأشادوا بالحياة الفطرية للطبقات الدنيا التي لا تحظى بما يحظى به الأرستقراطيون من نعمة وجاه" (هلال، الأدب المقارن، د.ت، ص 37).

لذا " قدس الرومانسيون العاطفة ووضعوها في منزلة العقل، لأن التفكير يتغيّر وأمّا القلب والحب فلا يتغير كل منهما حسب اعتقادهم" (فان تييغيم، 1981م، ج2 ، ص 37).

ومال الرومانسيون إلي الحب الصادق وخلوه من الشوائب الجسدية، ولم يكن لهم دافع مسي وإنمّا هو روحي خالص وهو تعلق بالروح، "لأن كل ديانة حب وكل حب ديانة" (المصدر نفسه، ص 34)، وينظر الرومانسيون إلى أن "الحب هو المحرّك الأساس، وقد انتقل هذا التحرر إلى الأدب ليتحرر من الأوزان وتقديم المضمون علي الشكل. دعا الرومانسيون إلى التحرر من العقل المنطقي والالتزام بالعقل الداخلي مما أدى إلى تغيير المضمون والشكل تغيير جذري وكانت البداية لولادات المدارس والاتجاهات الأدبية.

يجمع الرومانسيون على أهمية الخيال في الشعر، فالعقل عندهم عاجز من إدراك الحسّ" (الموسى،2008م، ص 142)، واختلف كولردج عن الرومانسيين فالخيال عنده أعم من نظرياتهم وأشمل الذي نشر كتابه " النظرية الرومانتيكية في الشعر" عام 1817م يتضمن نظرياته حول الخيال الشعري وهي كما يلي: "التفرقة بين الخيال الأولي والخيال الثانوي حيث قسم الخيالي إلى قسمين: خيال أوّلي وخيال ثانوي، الخيال الأولي يشترك فيه الجميع، الشاعر والفيلسوف والفنان وغيرهم في عملية المعرفة ولولاه استحالت المعرفة ذاتها والخيال الثانوي من اختصاص الشعراء وحدهم وهو لا محدود.

- التمييز بين الخيال والتوهّم فالخيال هو القوّة التي يستخدمها الشاعر للتصوير وهو القادر علي المتعة الموسيقية في القصيدة أمّا التوهّم فهو مادي سلبي لا يعتمد عليه الفنان أمّا الخيال فهو قوّة سرية يعتمد عليه"(كولردج، 1971م، ص 253- 254).

يظهر"أن الرومانسيّة قد توجهت منذ بدايتها نحو تحطيم مدرسة الكلاسيكية المحدثة في الشعر. والواقع أن أوّل ما نادت به الرومانسية من نظريات في مصر والمهجر كان ذا وجهين: الأول، أن يكون الشعر تعبيراً عن دخيلة النفس، والثاني أن الحاجة لم تعد قائمة للمدرسة الكلاسيكية الحديثة وأساليبها. ومن أجل ذلك، كان همّ المباشر الواعي همّاً فنيّاً. لقد كانت الرومانسية بالدرجة الأولى استجابة لدوافع برزت من داخل الشعر نفسه، تصطرع نحو تعبير في الشكل واللغة والمحتوى. لكن هذا الدافع الفنّي الكبير في الرومانسية لا يحظى بعناية الباحثين في الموضوع"(الجيوسي، 2001م، ص374).

جماليات الشعرية الرومانسية تعكس توجهاً أدبياً هاماً نشأ في القرن التاسع عشر كرد فعل على التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدها العالم في تلك الفترة، وتميز الشعر الرومانسي بعدة جماليات أهمها:

- العاطفة والأحاسيس: يعتبر التعبير عن العواطف والانفعالات الشخصية من أبرز جوانب الشعر، يعبر الشعراء الرومانسيين عن أحاسيسهم على وجه صريح وعميق، سواء كانت شعور الحب والغرام أو الحزن واليأس (هلال، الرومانتيكية، د. ت، ص45-46).
- جمال الطبيعة: يعكس الشعر الرومانسي اهتماماً كبيراً بجمال الطبيعة وتأثيرها على الإنسان، فيصوّر الشعراء الرومانسيون المشاهد الطبيعية بألوان زاهية وتفاصيل دقيقة، ويستخدمونها للتعبير عن مشاعرهم الداخلية ومراجعة حالتهم النفسية. الطبيعة عندهم مصدر للإلهام والفكر الإبداعي يمكن أن يتأملوا في جمال الطبيعة، ويستخدمونه كوسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

أ- الخيال الرومانسي: يتسم الشعر الرومانسي بالاهتمام بالخيال والعالم الخيالي. يستخدم الشعراء الرومانسيون الصور والرموز البصرية لإيصال أفكارهم ومشاعرهم، ويميلون إلى تصوير عوالم خيالية مليئة بالغموض، "فعالم الخيال أحب إليه من عالم الحقيقة المحدود"(هلال، الأدب المقارن، د. ت، ص94).

ب- التأمّل والتفكير: يتناول الشعراء الرومانسيون قضايا الحياة والموت والوجود على وجه عميق، ويعبرون عن تأملاتهم في معاني الحياة والطبيعة البشرية، ويسعى الشعراء الرومانسيون إلى استكشاف العوالم الداخلية والخيالية، حيث يمكن للشعر أن يكون نافذة إلى أعماق النفس والتفكير الإبداعي، كذلك يستعرض الشعراء الرومانسيون في أعمالهم مفهوم الوجود والهويّة، ويسعون لفهم الغموض الكامن وراء الحياة والوجود البشري.

ج- الحرية والتمرد: يرتبط الشعر الرومانسي بالتمرد ضد القيود والقواعد المجتمعية والسياسية. يعبر الشعراء الرومانسيون عن رغبتهم في الحرية والتفرد والانفتاح على العوالم المختلفة، ويرتبط الشعر الرومانسي أحياناً بروح التغيير والثورة، حيث يمكن أن يعبر الشعراء عن تحديهم للهيمنة الاجتماعية والسياسية والتطلع إلى عالم جديد وأفضل(هلال، الرومانتيكية، د. ت، ص135-136).

د- اللغة الجميلة: يهتم الشعر الرومانسي باللغة والألفاظ الجميلة، ويستخدم أساليب شاعرية متقنة للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

هـ- الاهتمام بالأبطال: يقوم الشعراء الرومانسيون بإنشاء شخصيات أبطال غالباً تعكس مشاعرهم وأحلامهم. هؤلاء الأبطال يمكن أن يكونوا متمردين أو عاشقين أو رحالة، ويستخدمونهم لتجسيد تجاربهم الشعرية.

و- الحب والغرام: تشغل موضوعات الحب والغرام مكانة خاصة في الشعر الرومانسي. يمكن للشعراء أن يستخدموا اللغة العاطفية للتعبير عن مشاعر الحب والشوق بطرق تثير تأثيرًا عاطفيًا عميقا.

ز- التعبير عن الحلم والطموح: يمكن للشعراء الرومانسيين أن يستخدموا قصص الحلم والطموح لإلهام القرّاء وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف والتطلعات.

ح- التفكير في مفهوم الوجود: يستعرض الشعراء الرومانسيون في أعمالهم مفهوم الوجود، ويسعون لفهم الغموض الكامن وراء الحياة والوجود البشري.

"عرفت الرومانسيّة بأنها تستعمل الإغراب والتضخّم والمبالغات، والمصادفات، والمغامرات، وهو تفقده التحليل والمنطق الطبيعي للأحداث حيث تتحقق المواعظ والنصائح والأماني في الخيال أكثر من تحققها في الواقع" (هلال، الأدب المقارن، د. ت، ص353).

وهل جماليات الرومانسية هي نظرية؟

جماليات الشعرية الرومانسية لعلّها ليست نظرية واحدة، وإنما يمكن أن تكون متعدد الأوجه والتفسيرات. بل هي مجموعة من العناصر والمفاهيم والأساليب الأدبية التي تميز بها الشعر الرومانسي. على الرغم من ذلك، يمكن أن تكون هذه الجماليات محورًا للدراسات والتحليل الأدبي.

على مر الزمن، قد تطورت الدراسات والنقد الأدبي لتتناول جوانب كثيرة من الشعر الرومانسي من خلال نظريات تحليلية ومقارنة بين الشعراء والأدباء، ويمكن أن تقوم هذه النظريات بدراسة السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي أثر على تطور الشعر الرومانسي وشكل توجهاته.

لذلك، يمكن القول إن جماليات الشعرية الرومانسية تمثل مجموعة من العناصر والمفاهيم والأساليب الأدبية التي يتميز بها الشعر الرومانسي. هذه الجماليات تعكس القيم والمعتقدات والروحية التي كانت تسود في العصر الرومانسي، وتعكس تفاعل الشعراء مع التغييرات الاجتماعية والثقافية والفلسفية التي كانت تحدث في تلك الفترة.

المبحث الرابع: نظريّة الانزياح وجمالياتها

الانزياح لغة ومفهوماً:

الانزياح في اللغة: فمادته مأخوذة من زيح يزيح زيحاً، زاح الشيء أي أبعده وزاح زيحاً وزيوحاً وزيحاناً، أي تباعد وذهب، وإمّا مفهوم الانزياح في الأدب والشعر فهي تعتمد على استخدام اللغة والأساليب الأدبية بطريقة غير تقليدية أو مبالغ فيها بهدف التعبير عن فكرة أو مشاعر بشكل مبتكر وغير مألوف. يُستخدم هذا الأسلوب غالبًا لخلق تأثير أو لفت الانتباه إلى جوانب معينة من النص، وإثارة الاهتمام لدى القرّاء. فالانزياح من "مفاهيم الأسلوبية وآليّات اشتغالها، والانزياح من أشهر هذه المفاهيم، إذ إنّه ظهر بظهور الشعرية الحديثة؛ وذلك لاختلاف اللغة الشعرية عن غيرها، فاللغة العلمية أسلوبها تقريريّ مباشر، ولا مجال فيه للتأويل فيكون المتلقي أمام دلالة واحدة فقط، أمّا الشعر وإن كان يعتمد لغةً فيها شيء من التقريرية، إلّا أنّ حظَّها من الإيحاء كبير، والانزياح في اللغة هو زوالُ الشّيء وتنحّيه، أيْ تغيير حال معينة وعدم الالتزام، أمّا اصطلاحًا يُشبه دلالتَه اللُّغويّة فهو الخروج عن المألوف (موقع سطور كوم، 2024م). وقد تكون هذه الأساليب مستوحاة من تجارب الأدباء والشعراء أنفسهم.

يعمُد الأديب في جماليات الانزياح إما إلى استخدام كلمات غير مألوفة أو مصطلحات جديدة أو اختراع لغة خاصة به، وهذا يحمل معاني تتعدى التعبير العادي، وإما تستخدم تشبيهات غير مألوفة واستعارات مبتكرة لتصوير أفكاره بطرق لا تعتمد على التشابه التقليدي، وإما بتغيير سياق الزمان والمكان في النص لإنشاء تجربة زمنية أو مكانية مختلفة للقرّاء، وإما استخدام رموز وعناصر ترمز إلى معانٍ أعمق وتحمل تأويلات متعددة، مما يثير انتباه القرّاء لفهم ما يجري في النص، وإما يستخدم الشاعر في بعض الأحيان الانزياح لتجسيد التجارب الروحية أو الفلسفية تأملية عميقة، حيث يمكن أن تكون اللغة العادية غير قادرة على التعبير بشكل كامل عن تلك التجارب.

هذا هو المفهوم العام والمتعارف عليه في أكثر كتب الأدب، ولكن ليس متفقاً عليه، ولذا نلاحظ تعدد وجهات النظر والروية في معاني هذا المصطلح، فالبعض سمّاه بتسمية أخرى، "كالانحراف، والعدول، والمخالفة، والتحريف، والبُعد، والإطاحة، وخرق السنن، وغير ذلك من التسميات الأخرى (المسدى، 1982م، ص 100). فالانزياح هو الآلية والمهارة التي تقوم عليها الأسلوبيّة لدراسة النصوص الأدبيّة، في استعمال اللغة وذلك وفق معايير خاصة يعمد إليها الباحث والأديب.

الانزياح

"تمخض "مفهوم الانزياح كنظرية جمالية معاصرة على يد جان كوهن وبدأ كوهن من الخطوة التي وقفت عندها البلاغة القديمة فأسس عليها نظرية شعرية خاصة به، والتي أطلق عليها فيما بعد نظرية الانزياح، فأخذ كوهن القاسم المشترك بين الانزياحات في البلاغة القديمة التي كان كل منها مستقلاً بذاته، فتجاوز كوهن تلك الاستقلالية ليؤسس مكانها جدلية الانزياحات العامة، وفي الواقع قرّب كوهن البلاغة القديمة من دائرة الأسلوبية"(ناظم، 1994م، ص 111 بتصرف).

الانزياح لدى شعراء الشرق والغرب:

وعلى أي حال فعند ما يتم تطبيق نظرية الانزياح على نحو ناجح، يتم إثراء تجربة القراءة وتوسيع أفق الفهم والتأمل، كما نلاحظ هذا عند الشاعر الروسي "فيودور دوستويفسكي المعروف بأسلوبه الغامض والعميق. دوستويفسكي، يستخدم الشاعر أحياناً تشبيهات وصوراً غريبة لتجسيد أفكاره. على سبيل المثال، في قصيدته شكراً، حيث استخدم تشبيه الشمس بـ شجرة تنزف ضوءاً ليعبر عن انزياح تجربة الشروق.

والشاعر الإنجليزي وليام ووردزوورث المعروف بروحه الرومانسية واهتمامه بالطبيعة في قصائده، يستخدم أنواع اللغة والصور بطرق غير تقليدية لتوصيل تأملاته وإحساسه بالجمال الطبيعي. والشاعر الأمريكي- البريطاني توماس ستيرنز إليوت يُعتبر واحداً من رواد الشعر الحديث. يستخدم في قصائده تداخلاً بين الأصوات والزمن، مما يخلق انزياحاً في التجربة الشعرية ويدفع القارئ إلى التفكير العميق، "كقصائده أرض الخراب وهي مجموعة من القصائد التي صور فيها ضعف الحياة وعقم الحضارة وهي أبلغ رثاء للعالم نعرفه اليوم" (اصطيف، 2002، ص278-285). والشاعر الأمريكي ويليامز كارلوس الذي بأسلوبه البسيط والواضح والتركيز على التفاصيل اليومية.

الشاعر الأمريكي روبرت فروست المشهور بأسلوبه الريفي والبسيط، وقصائده التي تناول قضايا الحياة والطبيعة.

الانزياح الغربي هو مصطلح يشير إلى موجة من الشعراء الذين تجاوزوا الحدود التقليدية للشعر. واستكشفوا موضوعات وأساليب جديدة خلال القرن العشرين. هؤلاء الشعراء أثروا في الأدب إلى حد بعيد من خلال تجديد قواعد وتصوير الشعر. وإليك بعض أهم شعراء الانزياح الغربيين.

وهل الانزياح نظرية؟

نظرية الانزياح هي مفهوم أدبي ونقدي، وليست نظرية علمية في المعنى العلمي الدقيق. إنها مصطلح يُستخدم في الدراسات الأدبية لوصف نمط من الكتابة والتعبير يتجاوز حدود اللغة والأساليب التقليدية. يمكن اعتبارها أسلوباً أو مفهوماً نقدياً يُستخدم لوصف الابتكار والتجديد في الأدب.

شعراء الانزياح العرب المعاصرين هم الشعراء الذين اتجهوا في قصائدهم إلى التعبير عن الانزياح عن الواقع الاجتماعي والسياسي، وغالباً ما يتناولون موضوعات الحزن والفقدان والوحدة. قد تختلف قائمة هؤلاء الشعراء وفقًا للتفضيلات الشخصية والزمان، ولكن هناك بعض الشعراء المعاصرين الذين يعتبرون من أهم وأبرز شعراء الانزياح العرب. الشاعر السوري نزار قباني الذي اشتهر بقصائده الرومانسية، حيث اتجه في قصائده نحو الرومانسية، حيث عبر عن الحب وغيره. والشاعر الفلسطيني محمود درويش واحد من أشهر الشعراء العرب في القرن العشرين. تميزت قصائده بالانزياح والوحدة والوطنية. والشاعر أدونيس الذي تناول مواضيع الهويّة والتجربة الإنسانية، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور الذي يجمع بين الانزياح والوجود الاجتماعي والسياسي في قصائده والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي المعروف بقصائده العميقة والمعبرة عن الإنسان والوجود.

ظاهرة الانزياح في الشعر العربي المعاصر تمثل توجهاً أدبياً يتجاوز التعبير عن الشعور والأحداث الذاتية والشخصية، ليتعامل مع قضايا أعمق وأهم مثل الوحدة، والبحث عن الذات، والتأمل في الوجود والحياة. يهدف هذا النوع من الشعر إلى استكشاف الأبعاد الداخلية للإنسان والمجتمع والعالم من حوله بطريقة تعبر عن الانعزال والتفكير العميق.

أهم ملامح الانزياح في الشعر المعاصر.

أ- يعبر الشعراء في قصائدهم عن حالة الانعزال والوحدة التي قد تكون نتيجة لتفكك المجتمع أو للبحث عن الذات.

ب- يتناول الشعراء قضايا الحياة والموت، والوجود والغيبيات بطريقة تفكيرية وفلسفية.

ج- ينصب اهتمام الشعراء على تجربة الحب والفقدان والاشتياق، وكيفية تأثيرها على الإنسان والعواطف.

د- يستخدم الشعراء الوصف الطبيعي والتأمل في الطبيعة للتعبير عن الانسجام والتناغم مع الكون.

هـ- يعتمد الشعراء على استخدام الرموز والاستعارات لنقل معان أعمق وأكثر تعقيداً.

و- يتميز هذا الشعر بالاهتمام بالإيقاع والتناسق اللغوي، مما يعزز من تأثير القصائد في القارئ.

ز- غالبًا ما يتطلب هذا النوع من الشعر من القارئ أن يفهم على نحو عميق النص ومعانيه ورموزه.

تعد ظاهرة الانزياح جزءاً من التطور الأدبي والثقافي، وقد ترتبط بالتغيرات الاجتماعية والتحولات في المجتمع. تسهم هذه الظاهرة في إغناء الأدب وتوسيع دائرة القضايا التي يمكن للشعر أن يتناولها بأسلوبه الخاص.

الحديث عن جماليات الشعرية لا يمكن أن ينتهي، لأن الحديث عنه حديث عن الأدب والشعر والخيال، وهذه الأمور ستبقى لأن الخيال باق.

نتائج البحث:

بعد هذه الرحلة الاستكشافية من البحث حول" جدلية الجماليات الأدبية بين القديم والجديد، نظرية الانزياح نموذجاً" ونظراً إلى الإشكالية والتساؤلات المطروحة في بداية الموضوع، لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، ومن أهمها:

1- كثر كلام عن نظريات الجماليات في الأدب، وتعددت المصطلحات والتعاريف والرؤية والفكر قديماً وحديثاً في هذا المجال، ولكن يعتبر الكثير أنّ الانزياح يمثل تطوّراً في جماليات الشعريّة في البلاغة القديمة. وقد توسّع هذا التطوّر الخطير ليشمل الزمان والمكان والتصورات الذهنيّة والخياليّة والإيحائيّة واللغويّة والعديد من الجوانب الأخرى، حتى وصل إلى مرحلة اختلاف نص الشاعر والمؤلف عن نص المتلقي. وبالتالي، وصار لكل واحد منهما نص خاص به، يعكس فهمه الخاص واستنباطه الشخصي وذوقه ومستوى فكره. وهذا يعكس التنوّع والتعدد في القراءات والتفسيرات للأعمال الأدبيّة. وهذا التعدد في الرؤى والفهم يسهم في إثراء الحوار الأدبي والثقافي ويضفي عليها جمالاً خاصاً دون ترديد.

2- تطورت نظريات جماليات الأدبية بمرور الزمن وتغيّرت حسب الزمان والمكان والمنظرين الذين اهتموا بها. وما زالت هذه النظريات قيد البحث والنقاش ولم تنضج، والحديث عنها لم ينته بعد، امتداداً من عبد القاهر الجرجاني ومروراً بجان كوهن وياكوبسون، فالبعض مال إلى الكلاسيكية وجمالياتها وانزياحاتها الخاصة بها، مع التركيز على القيم الفلسفية والمفاهيم العامة، في حين اتجه آخرون إلى الطبيعة والرومانسية والرمزيّة، حيث ركزوا على التعبير عن الطبيعة والمشاعر الإنسانية بشكل أكبر، وما زالت تشكل موضوعاً هامّاً للبحث والنّقاش في مجال الأدب والشعر حتى صار البعض يؤمن بأن الأدب والشعر خاصة كلما أبتعد عن العقل وأقترب من الأحساس والتأويل كان أكثر شعريّة وشاعريّة وجمالاً وأقترب من المتلقي.

3- مصطلح الشعرية مصطلح قديم جديد والنظريات الحديثة في جماليات الشعرية ما زالت قيد التطوّر والتبلوّر في الأدب الغربي وكذلك الشعر العربي المعاصر، ولم تزل بحاجة إلى كثير من النضج والتوسّع والتنظير الفكري والأدبي.

4- مصطلح الأدبية وجمالياتها عاش عمراً مديداً وهو من المصطلحات التي ستبقى ما بقي الشعر والأدب لأن بقاء الشعر مرتبط ببقاء البشر وأحاسيسه وعواطفه وإنسانيته وعلاقاته الإنسانية، فلا معنى للشعر دون جمال كما لا معنى للإنسان دون أحاسيس.

5- إنّ الشكلانيين الروس يؤمنون بشعرية الشعر وشاعريته، ولا يؤمنون بشعرية النثر، كما نجد المنظر ياكوبسون قد اتبع جان كوهن ولم يعتقدا بالتقاءالنقاط بين الشعر والنثر.

6- حاول جان كوهن ومن خلال نظريته حول الانزياح أن يوضح كيف تطور الشعر عبر العصور، وعلى نحو سريع، يعتقد كوهن أن الانزياحات في الشعر زادت تدريجيا مع مرور الزمن، من العصور الكلاسيكية وصولاً إلى العصور الرومانسية. ويقول إن الإحصائيات التي تُظهر عدد الانزياحات الكبيرة تعد دليلاً قويًا على هذا التطور. لذا، يُظهر جان كوهن من خلال نظريته أن الشعر تطور بشكل سريع على مر العصور، وأن الانزياحات تزيد كلما تقدمنا في الزمن، مما يدعم فكرة أهمية الشعر وتطوره في التاريخ الأدبي.

7- حاول كلٌ من كوهن وياكوبسون إنشاء علمٍ مخصص للشعر باسم علم الشعر، في حين حاول البعض الآخر مثل تودورف وكمال أبي ديب إنشاء علمٍ مخصص للأدب. وبناءً على هذا السؤال الذي يُطرح، هل الشعرية هي علم الشعر أم علم الأدب؟

أنّ معظم النقاد والباحثين يرون أنّ الشعرية هي جزءٌ من علم الأدب، إذ تسعى إلى دراسة قوانين وميكانيزمات الخطاب الأدبي في الشعر والنثر معاً، ولا يُفرق بينهما بشكل ملحوظ.

وفي الأخير وليس آخر تبيّن لنا أنه يجب علينا أن ننتظر مستجدات النظريات الجمالية وبما فيها نظرية الانزياح والمناهج النقدية الحديثة ونضجها لنصل إلى دراسات مفيدة أكثر.

التوصيات والمقترحات.

أ- الاهتمام أكثر بالنظريات وجماليات الشعر والأدب وكتابة البحوث والدراسات فيها لأنها لم تنضج بعد وذلك لإغناء المكتبة العربية والأدبية.

ب- تشجيع البحوث والدراسات الفنية والأدبية في مجال النظريات التي طرحها بعض الدارسين والنقاد العرب ک كمال أبي ديب وأدونيس بوصفها جزءاً من التطورات الأدبية.

ج- مناقشة النظريات الجمالية ذات الطابع الحديث الغربية المنشأ وتوظيفها في مجال الأدب والشعر الشرقي والعربي.

المصادر والمراجع:

- أفلاطون (1985م) . جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- أرسطو (د. ت). فن الشعر، ترجمة وتحقيق، عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الثقافة.
- أيخنباوم، بوريس (1982م). نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- بركات، وائل وآخرون (2003م). اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، منشورات جامعة دمشق.
- بلكاني، عبد الرحيم (2022م). مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 23، ألمانيا.
- الجيوسي، سلمى الخضراء(2001م). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جيمس، ر. أ. سكوت (1986م). صناعة الأدب، ترجمة هاشم الهنداوي، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- جونسون، ر.ف (1983م). الجمالية ضمن موسوعة المصطلح النقدي، ج1، ت، عبد الواحد لؤلؤ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- صليبا، جميل (1982م). المعجم الفلسفي، ج1، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- صليبا، جميل (1982م). المعجم الفلسفي، ج2، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- اصطيف، عبد النبي، (2002م) النقد الأدبي العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، منشورات إلكترونية.
- علوش، سعيد (2011م). الأدب العربي الحديث، ط2، لبنان، بيروت: دار النهضة العربية.
- علوش، سعيد (1984م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء: منشورات المكتبة الجامعية.
- عودة، خضر (1997م) .الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ط1، الأردن: دار الشروق.
- فان تييغيم، بول (1981م). الرومانسية في الأدب الأوروبي، ترجمة الجهيم، دمشق: وزارة الثقافة.
- كولردج (1971م). النظرية الرومانتيكية في الشعر، ترجمة عبد الحكيم حسان، مصر: دار المعارف.
- كوهن، جان (د. ت). في كتابه بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- المسدي، عبد السلام (1982م). الأسلوبية والأسلوب، ط 2، مصر: الدار العربية.
- الموسى خليل (2008م). جماليات الشعرية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- ناظم حسن (1994م). مفاهيم الشعرية، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- هلال، محمد غنيمي (د.ت). الأدب المقارن، ط5، بيروت: دار الثقافة.
- هلال، محمد غنيمي (د. ت). الرومانتيكية، نهضة مصر: للطباعة والنشر والتوزيع.
- وهبة مراد (2007م). المعجم الفلسفي، القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر.
- ياقوت، بشير (2021م). الأسلوب والأسلوبية مفاهيم واتجاهات، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول.
- borileau – despreaux: oeuvres poetiques et fragments desoeuvres en prose par ch. Aubertin librairie Classique eugene belin paris sans date.
- قاموس إنجليزي أكسفورد ومعاجم أخرى. https://chat.openai.com/ 12/26/2023
- قاموس ومعجم المعاني متعدد اللغات https://www.almaany.com /2/ 8 / 2024
- موقع سطور كو م2/9/2024 https://sotor.com